

البَابُ الثَّامِنُ

التوقعات للمستقبل

وهل الصورة رمادية؟

أم خضراء؟ أم أنها بمبي بمبي؟!

مصرُ التي في خاطري

ما إن انتشرت بين جموع الشعب المصري أخبار انتخابات مجلس الشعب والشورى والتحضير للانتخابات الرئاسية بعد ثورة ٢٥ يناير إلا وعلت الوجوه ابتسامة جاءت على استحياء أماً في أن يكون التغيير القادم تغييراً حقيقياً ، تغييراً يأخذ على عاتقه تطلعات الشعب وآماله ولا يكون تغييراً في الوجوه فقط. والحقيقة أن كل التغييرات الوزارية في مصر والتي حدثت في الخمسين سنة الماضية كانت كلها تغييرات في الوجوه ولكن السياسة كما هي ، وقد كانت معظم الوجوه التي دخلت الوزارة ومازالت هي نفس الوجوه القديمة التي تدخلت تحت باب أهل الثقة وليس تحت باب أهل الخبرة ، مما زاد من أعباء الحياة على المواطنين.

إننا نريد من التغيير الجديد أن يأتي بأهل الخبرة ، وأن يكون أول قرار في التغيير هو إنهاء العمل بقانون الطوارئ ، وأن نمنح الشعب حرية في المشاركة في صنع القرار بطريقة ديمقراطية ولا مانع من أن يختار الشعب ممثليه عن طريق المشاركة الحقيقية للأحزاب والنقابات وذلك هو أول طريق للإصلاح ،

وبعيداً عن أجواء التشنج وأجواء الانغماس في الهروب التاريخي تحت مظلة مصر التاريخ والحضارة وكل هذه المسكنات التي لا تزيدنا إلا ضياعاً بين الأمم ، فإننا وبكل صراحة نرى أن مصر كانت في السنوات العشرين الأخيرة من حكم مبارك صفراً في كل شيء!!!.

ولإثبات هذه الحقيقة المؤلمة لا نحتاج إلا إلى النظر في الشأن المصري فنبدأ من الاقتصاد ونراه كان يترنح من جراء تضخم قاتل

ممتد يتبعه بطالة تنتشر كالسرطان بين الشباب فنرى جيلاً كاملاً من الشباب المصرى لا أمل له ولا مستقبل ، وبعد ذلك ونتيجة لهذا الشعور بالاحباط نجد أنه كانت هناك روحاً انهزامية تفلحها حالة من اللاتنماء لدى المواطن المصرى وكأن ما يحدث لمصر لا شأن له به ، وتلك هى أخطر ما فى الموضوع فالمصريون تحت أى هجوم كان انتمائهم لمصر هو القوة التى يستمدون منها روح المقاومة ، وهناك أيضاً كان تخبطاً من الجهات الرسمية فى الدولة (حكومة ومعارضة أحزاباً ونقابات) فكانت كل جهة تعمل لمصلحتها وليس لمصلحة الشعب مما انعكس على السلوك العام فانتشر الفساد واللامسئولية خصوصاً بعد انحسار تأثير الحكومة بسبب ازدياد عمليات الخصخصة. وعندما ننظر فى الدور السياسى لمصر فى العالم العربى والأفريقى والعالمى نجد أنه كان انحساراً كبيراً لدور مصر فى الثلاث اتجاهات والدليل على ذلك انحسار دور مصر الريادى بين العرب والوضع مثيله فى إفريقيا والعالم أجمع .

واستكمالاً لهذه الحالة نرى تردى الزراعة المصرية فمازالت أزمة القمح مستمرة وكأننا تحت مؤامرة عالمية لتركيع مصر ، ونرى تردى القطن المصرى ومنسوجاته بينما دولاً كثيرة أصبح لها الصوت العالى فى هذا المضمار. وعلى نفس الطريق نجد ظاهرة تنتشر فى أجواء الشباب المصرى وكنتيمة لهذا الإحباط فنراه ينقسم إلى قسمين قسم هجر الدين وارتدى ثياب التمدن والفجور فى أبشع صورهِ ، ونرى قسماً آخر لجأ إلى الدين وارتدى ثياب الحشمة والتدين ، وللأسف فالتياران كلاهما مخطيء لأنهما اعتمدا على الآخر وليس على الذات ، فالتيار الشبابى المنحرف اعتمد على تقليد الغرب ومجاراته ولكن فى الفجور والانحراف ولم يقلد الغرب فى العمل والانتاج ، والتيار الآخر المتدين

اعتمد على الدعاة الجدد (دعاة العولمة والفضائيات) فأخذ يتبعهم عن جهل وعدم فهم فوق في التقليد بدون العلم فأصبح متديناً شكلاً وليس مضموناً وهذه خطورة لا تقل عن عدم التدين والمثل يقول: (عدو عاقل خير من صديق جاهل).

والآن وبعد هذا التحليل، هل الصورة سوداوية أم هناك بصيص من أمل، والحقيقة أن الأمل موجود وليس علينا سوى استحضار الشخصية المصرية الأصيلة على مر العصور فنستلهم شخصية المصري القديم وهو يعمل في صمت بلا كمال فيبني الحضارة، وشخصية المصري الأبى الذي عارض عمرو بن العاص الحاكم وذهب إلى عمر بن الخطاب ليأخذ حقه بلا خوف ولا ذل، وشخصية المصري أحمد عرابي الذي وقف أمام الخديوي توفيق قائلاً: "لقد ولدتنا امهاتنا أحراراً ولن نُسْتَعَبَد بعد اليوم"، وشخصية المصري "جمال عبد الناصر" الذي اعترف بالخطأ وبدأ التغيير بعد نكسة يونيو، وشخصية المصري أنور السادات الذي خدع العالم كله أمريكا وروسيا وإسرائيل وانتصر في حرب العبور في رمضان وأثبت أن مصر هي مصر على مر العصور.

صفقة "شاليط" ومصر بعد مبارك

تصدرت كل وكالات الأنباء والقنوات الفضائية أخبار صفقة تبادل الأسرى الفلسطينيين بالأسير الإسرائيلي لدى حركة حماس "شاليط"، وكم كانت صور تبادل الأسرى الفلسطينيين وعودتهم إلى ذويهم في احتفال كبير أذاعته كل وكالات الأنباء، وكيف كانت عودة شاليط إلى أهله في إسرائيل واستقبال كبار زعماء إسرائيل له في إشارة إلى نجاح الصفقة على كل المستويات، وقد تابع المصريون

أخبار هذه الصفقة بفخر واعتزاز وذلك عندما أعلنت حركة حماس وإسرائيل أن الصفقة تمت بدعم مصر ولولا جهود مصر لما نجحت الصفقة، وهنا كان مريبط الفرس في الفرحة الغامرة لدى المصريين في مصر وخارج مصر، وذلك لأنه ولأول مرة يشعر المصريون أن مصر لها دور كبير وليس دور التابع الراضخ، كما كان الحال في عهد مبارك، فقد كانت مصر دائماً تابع لما تمليه أمريكا وإسرائيل،

ولكن في عهد ما بعد مبارك فإن مصر لا ترضخ لأحد بل ترضخ لمصلحة مصر وشعب مصر، وما هو الفرق في مصر مع مبارك ومصر بعد مبارك.

إن ثورة الخامس والعشرين من يناير لم تقم فقط ضد الفساد الذي كان مستشرياً في جسد مصر كالتعاون، ولكن الثورة قامت لتحرر الإرادة المصرية من التبعية لأمريكا وإسرائيل، الثورة قامت لتعود مصر إلى قوامها ومكانتها، وأنه لا يعلو أحد أياً من كان إرادته على شعب مصر، وهذا هو السبب القوي الذي جمع كل طوائف الشعب تحت لواء ثورة الخامس والعشرين، والسبب الذي جعل الجيش المصري برجاله وقياداته يؤيدون الثورة من أول يوم ويقفون إلى صفها. إننا يجب ألا ننسى موقف الجيش المصري ولا يجب أن نسمح لأي جماعة خارجية أو داخلية أن تهتك هذا الرباط القوي بين الشعب وقواته المسلحة، ولا يجب أن نسمح ليد الفتنة (الخارجية والداخلية) أن تقطع أو اصر الترابط بين الشعب وقواته المسلحة الشريفة ويجب أن نتيقظ للفتن وأن نحمل الثورة بالاتحاد والثبات صفاً واحداً شعباً وجيشاً حكومة وأفراداً، رجالاً ونساءً، وهكذا نحفظ دماء شهداء الثورة من أن تضيع سداً. إن أعداء مصر كثيرون وهم إما بالخارج الذين لا يريدون لمصر التقدم والتوحد، وأعدائها كثيرون في الداخل وهم أصحاب المصالح

والمنازع وأصحاب الفتنة والتفكك ، فاللهم إحمنا من أعدائنا فى الخارج والداخل وأحمنا من الجهل والتعصب .

مصر بين انتماءها الإسلامى وتاريخها القديم

انتشرت فى الآونة الأخيرة وخصوصاً بعد ثورة ٢٥ يناير وقد كانت بصيغة مصرية قومية وكان التساؤل هو: هل يجب أن تتمسك مصر بأصلها الفرعونى أم أن الانتساب لا يكون إلا للإسلام، وهنا أود أن أشير إلى ما يلي :

أولاً: إن "الإسلام دين" و"الإسلام وطن" و"الإسلام نسب"، وهى حقيقة خالدة دائمة، إن الإسلام هو دين الله الذى ارتضاه لعباده أجمعين لا فرق بين كبير وصغير ولا بين أبيض وأسود ولا بين غنى وفقير إلا بالتقوى، وهو الدين الذى بعث الله به الرسل من أول آدم عليه السلام حتى خاتم الرسل والأنبياء سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم وهو دين التوحيد الخالص لله، والإسلام هو الوطن الذى ننتسب إليه ونلجأ إليه فى كل زمان ومكان ولا وطن سواه، والإسلام هو النسب الحقيقى الذى لا نسب سواه، وكل المسلمين هم منتسبون للإسلام ولرسول الإسلام وزوجاته أمهاتهم ومعنى ذلك أننا جميعاً لا ندين إلا بالإسلام ولا ننتسب إلا إلى الإسلام وطناً ولا ننتسب إلا إلى الإسلام.

ثانياً: لم يأمرنا الإسلام ولا الرسول بأن نقطع نسبنا القديم (ولو كان نسباً إلى دول كافرة) بل من أعظم الصحابة للرسول من كان يلقب بنسبه (صهيب الرومى) نسبة إلى أصله الرومى، و(بلال الحبشى) نسبة إلى أصله الحبشى، و(سلمان الفارسى)

نسبة إلى أصله الفارسي ، بل إن الرسول ضم سلمان إلى آل بيته قائلًا (سلمان منا أهل البيت) .

ثالثًا: هناك خطأ شائع بين الناس في فهم كلمة (فرعون) وما مدلولها وقبل الخوض في التفاصيل نشير إلى أن كلمة (فرعون) جاءت في القرآن الكريم أربعة وسبعون مرة (٧٤) في شتى سور القرآن وكلها تقصد وتشير إلى ملك مصر في عهد موسى عليه السلام والذي اختلف المؤرخون وعلماء المصريات في تحديد هويته هل هو رمسيس الثاني أم أنه ملك آخر، ومن هنا فالقران في كل آياته عن فرعون يقصد رجل واحد هو ملك مصر في عهد موسى وبالتالي لا يجب أن نطلق كلمة فرعون على كل ملك حكم مصر في العصور القديمة ، وهناك تفسيران لمدلول كلمة فرعون أولهما أنها من كلمتين "فر" و "عا" ومعناها ساكن القصر أى الذى يسكن القصر ويحكم، وهذا يكون لقب كل من يحكم مصر وحُرفت بعد ذلك إلى فرعون، وقد يكون " فرعون" هو اسم ملك مصر في عهد موسى أى انه اسم لا لقب، وفى الحالتين فكل ما قاله القرآن من لعنة لفرعون كان لرجل واحد هو ملك مصر في عهد موسى، ولا يجب أن نطلقه على جميع ملوك مصر عملاً بالآية القرآنية (ولا تزر وازرة وزر أخرى) صدق الله العظيم. وملحوظة غائبة عن الجميع أن كلمة مصر كلمة مصرية قديمة باللغة المصرية القديمة وقد استعملها القرآن الكريم ولم ينكرها، وقد جاء ذكر "مصر" فى القرآن خمسة مرات، أربعة منها تقصد مصر كبلد معروف، وواحدة فقط تعنى "مصر" أى بلد من البلاد وهى كالتالى:

_ (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) سورة

– (وقال الذى اشتراه من مصر لامراته اكرمى مئاوه) سورة يوسف

آية ٢١

– (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) سورة يوسف آية ٩٩

– (ونادى فرعون فى قومه قال أليس لى ملك مصر) سورة الزخرف

آية ٥١

– (اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم) سورة البقرة آية ٦١. وهى هنا

تعنى مصرًا أى بلد من البلاد .

رابعًا: يشهد التاريخ أن مصر وشعبها هو الدرع الواقى للإسلام وهى كنانة الله فى أرضه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والكنانة هى الجراب الذى يحوى السهام) وقد كانت مصر دائمًا هى مصنع الرجال والقادة والعلماء فى الإسلام على مر العصور وسوف تظل دائمًا هكذا ، وقد أوصى رسول الله المسلمين بأهل مصر خيرًا فقال: (استوصوا بأهل مصر خيرًا فإن لى بها نسبًا وصهرًا) ، وذلك إشارة إلى أم ولده إبراهيم (مارية القبطية) والى أم إسماعيل (هاجر المصرية) زوجة أبو الأنبياء إبراهيم وهى أم العرب جميعًا. وقد كانت مصر إحدى دولتى المهجر الأولى وهما الحبشة ومصر وهما اللتان اختارهما رسول الله لهجرة المسلمين ، وكيف كان (المقوقس) ملك مصر فى ذلك الوقت يميل إلى الإسلام ويعتبره دين التوحيد .

خامسًا: إن الحضارة المصرية القديمة كانت هى الحضارة الوحيدة التى تؤمن باليوم الآخر وبالبعث والحساب والعقاب ، وأن المصرى القديم كان يؤمن بالتوحيد وهى أول حضارة نادى بالتوحيد ، تذكر كتب التفاسير أن نبى الله (إدريس) وهو من أقدم الأنبياء ويقال أنه

قبل نوح كان بعثته في مصر، أى أن دين التوحيد كان في مصر، وكذلك معظم الأنبياء والرسل عاشوا في مصر فمن إدريس إلى إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى عليهم السلام كلهم أتوا إلى مصر ونشروا دعوتهم فيها، ويذكر أيضًا أنه في الدولة الحديثة وفي عهد الملك (امنحتب الثالث) بدأت دعوة توحيد الآلهة في إله واحد يرمز له بأشعة الشمس وقام امنحتب الثالث بتحطيم كل الآلهة وأمر بعبادة إله واحد وأطلق على نفسه (اخناتون) ولكن هذه الدعوة لم يكتب لها النجاح.

وفي جميع العصور لمصر القديمة كانت كلمة (معات) هي أصل التشريع للمصري القديم ومعناها (الخير والحق والعدل) وهي مفهوم آمن به المصريون على مر العصور حيث كانوا شعبًا لا يحب العنف ولا الغزو للدول المجاورة إلا دفاعًا عن مصر وأمن مصر وهي صفة غالبية حتى اليوم في جميع المصريين، ويذكر عن المصري القديم أنه لا يحب الاغتراب عن مصر أبدًا ولكنه لا يمنع أى غريب من أن يأتي إلى مصر ويعيش فيها معه بل إنه يكرم هذا الغريب ويفضله على نفسه.

وأخيرًا نصل إلى حقيقة أخيرة وهي أن كلمة فرعون تستعمل استعمالاً خاطئاً ومجازياً، فعندما نقول فرعون نقصد ملك مصر في عهد موسى ولا يجب أن نطلق كلمة الفراعنة لتقصد بها المصريين، فالفراعنة إن جاز النسب للكلمة تعنى كل ملك متكبر طاغ، ولكن إن كنا نقصد بالفراعنة وهو المصريون القدماء فلا عيب في النسب إلى المصريين القدماء لما لهم من تاريخ في الحضارة وفي التوحيد وفي العلوم، ولا يجب أن نكون محدودى الأفق فنفاضل بين الإسلام والإنتماء إلى مصر القديمة، فالمفاضلة هنا لا تصح ولكننا نتنسب إلى

الإسلام ونطيع الرسول ونتمسك بأصولنا المصرية القديمة تمسكاً وليس تعصباً ولكنه تمسكاً بالأصول، أصول الحضارة والتوحيد . وما زال تاريخ مصر كنزاً لم يكتشف بعد ، وخطوة فى تاريخ البشرية تحوى الكثير، وسراً من أسرار الكون مازال مجهولاً .

هل إنتهت المليونيات وبدأت التوازانات ؟

صاحب إرهابات البداية لثورة الخامس والعشرين من يناير ظاهرة ما يُسمى بالمليونيات، أى تظاهر واعتصام مئات الآلاف من الشعب فى ميادين مصر وخصوصاً فى ميدان التحرير والذى أصبح رمزاً للثورة، واستمر هذا الحال حتى يعد نجاح الثورة وخلع مبارك من الحكم، بل أصبحت المليونيات بعد خلع مبارك وتولى المجلس العسكرى للحكم هى وسيلة الضغط على المجلس العسكرى كى يحقق مطالب الشعب، وقد نجحت هذه الوسيلة بشكل كبير وذلك لأن الجماهير فى هذه المليونيات كانت لها مطالب واحدة وكان رأى الجميع رأى واحد، ولكن بانتهاء المرحلة الأولى للانتخابات البرلمانية وظهور نتائجها من نجاح كبير للإخوان المسلمين ونجاح أقل للسلفيين ثم الليبراليين حدث تغير كبير فى الساحة السياسية فى مصر وتبع هذا التغير انتهاء ظاهرة المليونيات، وذلك ليس إقلاقاً للمليونيات ولكن لأن الحال تغير والمواقف تغيرت . وحتى نستطيع أن نتفق مع هذا الرأى أو نختلف وهو (انتهاء ظاهرة المليونيات) يجب أولاً أن نتابع الأحداث ونحلل المواقف منذ بداية الثورة وحتى الآن، وكذلك نتائج هذه الأحداث ورد فعلها لدى الشعب المصرى بجميع طوائفه، ومن متابعة الأحداث والمواقف والنتائج وردود الأفعال يتبين لنا الآتى :

إن تعدد المليونيات وتكرارها والتي كانت فى بعض الأحوال أسبوعية وبأسماء متعددة، ورغم نجاح هذه المليونيات فى التأثير وتغيير المواقف، إلا أنها كانت بمرور الوقت تأتى بنتائج عكسية مما أفقدها التحام الجماهير معها بل ونفورها، وذلك لأن الأحوال الاقتصادية للشعب تدهورت كما أن هذه المليونيات كان يصاحبها وقف المرور فى الميادين والشوارع ووقف مصالح الناس، وانتشار ظاهرة الباعة الجائلين والبلطجية.

اتخاذ ظاهرة المليونيات للطابع الخاص والفئوى أفقدها إتفاق الجماهير، بل فى بعض الأحيان كانت هناك تصادمات بين الجماهير ولا تنسى تظاهرات المسيحيين فى ماسبيرو وعند بعض الكنائس، وأيضاً لا تنسى التظاهرات القنوية والتي أوقفت العمل تماماً فى بعض الميادين وزاد بذلك تدهور الاقتصاد وتأثر الشعب بهذا التدهور .

صاحب فى بعض الأحيان تصدى قوات الأمن والشرطة العسكرية لهذه التصادمات وخصوصاً لإخلاء الميادين والشوارع (ميدان التحرير - شارع ماسبيرو - شارع محمد محمود) وقد نتج عن هذه التصادمات قتلى ومصابين من الجانبين، مما جعل الناس تخشى هذه المصادمات وتتجنب المشاركة فيها .

اختلاف الآراء والمواقف وانقسام الشعب بين هذه الاختلافات جعل المليونيات تأتى متضادة، فكنا نسمع عن مليونية ينادى بها الإسلاميين تأييداً للاستفتاء فى شهر مارس وبعد أسبوع نسمع عن مليونية ينادى بها الليبراليين تعارض الاستفتاء، وكذلك كنا نسمع عن مليونية ينادى بها طرف وفى نفس الوقت هناك طرف آخر يعارض هذه المليونية ويدعو مؤيديه ألا يشاركوا فى المليونية، وفوق ذلك

أصبحت هذه المليونيات وسيلة لإظهار القوة وإظهار ضعف التيار الآخر، فكان الإخوان المسلمون ينادون لمليونية ويحشدون لها الحضور حتى تظهر قوة تأثيرهم وعدد مؤيديهم، وكانوا في بعض المليونيات يعلنون أنهم لن يشاركوا في المليونية القادمة حتى تأتي هذه المليونية ضعيفة الحضور هزيلة الشكل، وهكذا أصبحت المليونيات وسيلة للدعاية وإثبات قوة النفوذ .

نتيجة لاختلاف المواقف ولأننا نلعب في ملعب السياسة حيث تغلب المصالح ولو على المبادئ، فإننا بدأنا نرى بعض التوازنات التي أوجبها اختلاف المصالح، فنسمع عن توافق الإخوان والسلفيين ضد الليبراليين وبدأنا نسمع عن توافق الليبراليين ومعهم بعض القوى الممثلة للتيار المسيحي، والعجيب أننا نسمع عن فصيل من الصوفيين يؤيد هذا التوافق (ليبراليين ومسيحيين وصوفيين مسلمين)، وفي بعض الأحيان، وقد ظهر هذا أثناء الانتخابات في المرحلة الأولى أن الإخوان توافقوا مع الليبراليين ضد مرشح السلفيين والعكس صحيح، مما أفقد ظاهرة المليونيات بريقها وانصراف الناس عنها .

في النهاية ونتيجة استمرار التدهور الاقتصادي واستمرار المعاناة للشعب واستمرار تغليب المصالح ولو على حساب الشعب، مع انقسام الشعب بين كل هذه المواقف بين مؤيد ومعارض، ولأننا في مصر بلد العجائب، يقول قائل أننا في القريب العاجل سوف نسمع عن مليونية ينادى بها الشعب تخرج في ميدان التحرير تطالب بمنع المليونيات))).

فى الذكرى الأولى لثورة ٢٥ يناير

(لم يبقى فى الميدان ثوار)

عندما تحتفلُ مصرُ بمرورِ عامٍ على ثورة الخامس والعشرين من يناير، تلك الثورة التى غيرت من وجه مصر وكشفت عن الصورة الحقيقية لمصر وللشعب المصرى الحر الأبقى، الذى ومهما طال به زمن الاستبداد، إلا أن شمس الحرية سوف تشرق من جديد وتمسح عن وجه مصر ما اعترأها من كآبة وحزن، لما أصابها تحت وطأة الاستبداد وظلم الفساد، والتاريخ خيرُ شاهدٍ على أن مصر دائماً تعيشُ حرة أبية بيد أبنائها وشبابها .

فى مثل هذه الأيام خرجت جحافل المصريين فى كل بقاع مصر تتادى بالحرية وبالقضاء على الاستبداد والفساد وكانت الشرارة الأولى هى ميدان التحرير فى القاهرة وتبعه كل ميادين مدن مصر من الأسكندرية والسويس وأسيوط وأسوان وكل أرض فى مصر، وأصبحت الميادين هى رمز الثورة، ولم ينس العالم كله صورة الشعب المصرى وهو مصطف فى ملايين ينادى برحيل النظام السابق وكيف كان الشعب المصرى يتظاهر فى صورة حضارية سلمية من شباب وكبار وصغار من رجال ونساء وأطفال؟ وكيف ظهرت عبقرية الشعب المصرى فى انتظام المظاهرات والتكاتف بين جميع طوائف الشعب؟ كلهم فى صوت واحد يردد (الشعب يريد إسقاط النظام)، وكم انتهر العالم أجمع الصديق والعدو البعيد والقريب، بتلك المظاهرات وذلك التوافق بين أبناء الشعب المصرى، حتى تحقق المطلوب ويسقط النظام.

إننا وبعد مرور عام على الثورة، حينما ننظر إلى الميدان الآن وهو

رمز للثورة نجد الصورة قد اختلفت بل تبدلت، فبدلاً من الانتظام نجد الهرج والمرج، وبدلاً من أن نرى الشباب وهم يتظاهرون سلمياً نجد جماعات من البلطجية قد احتلوا الميدان وأصبح الميدان مكاناً للترع والبيع في كل ما هو ممنوع ومحرم، بل والإقامة تحت الخيام وما أدراك ما قد يحدث في جنح الليالي تحت الخيام، ثم بدأنا نرى جماعات من المسلحين الذين يتولون حماية هذه الخيام بالقوة وكأنها عصابات مسلحة، ثم بدأنا نرى أن تعامل قوات الأمن والجيش قد اختلف مع المتظاهرين فنرى التعسف في استعمال القوة والبطش من الجانبين ولا ندري أين الحقيقة هل الأمن وقوات الجيش هي التي بدأت بالعنف كما نرى في الفيديوهات أم أن البلطجية والعصابات المسلحة هي البادئة؟ وكذلك اختلفت الأهواء فبعد أن كان الجميع في الميدان كلمة واحدة، أصبحنا نسمع عن طوائف لا حصر لها فهؤلاء من الليبراليين وهؤلاء من العلمانيين وهؤلاء من الإسلاميين المتشددين وهؤلاء من الإخوان المسلمين وهؤلاء من المسيحيين المتشددين وهؤلاء فئات تتأدى بزيادة المرتبات وأصبحت المظاهرات الفتوية هي الرئيسية بل أصبحنا نسمع عن اعتصامات سائقي النقل العام واعتصامات عمال الشركات وهكذا اختلط الحابل بالنابل، وطبعاً كل ينادى على ليلاه!!!.

إن المؤسف هو أن الميدان تحول من صورة فنية جميلة تعبر عن شعب مصر وثورة مصر تلك الصورة التي شاهدناها في الخامس والعشرين من يناير حيث يقف الشعب والجيش في صف واحد ضد الفساد والاستبداد وحيث يقف المسلم مع المسيحي والرجل مع المرأة والشباب مع الشيوخ كلهم رأى واحد وكلهم ينادون بمطلب واحد ألا وهو سقوط النظام، ولكننا الآن نشاهد ميداناً آخر غير ما شاهدناه في الثورة. إننا نشاهد ساحة للقتال بين القوى المختلفة،

فالليبراليون يرون أنهم هم أصحاب الثورة وأن المجلس العسكري ما هو إلا امتداد للنظام السابق وعليه فيجب أن تستمر الثورة حتى يسقط حكم العسكر وتكاتف معهم كل من لم ينجح في انتخابات مجلس الشعب وخرج خالي الوفاض في الانتخابات .

والإسلاميون بجميع ألوانهم من إخوان مسلمين وسلفيين وحزب وسط وقد كان لهم النصيب الأكبر من كعكة مجلس الشعب وخصوصًا الإخوان فإنهم أعلنوا الهدنة مع المجلس العسكري حتى يتسلموا السلطة في مجلس الشعب وبدأنا نعيش معركة الإسلاميين والليبراليين والشعب يعيش في حيرة من مع من ١٩٩٩.

وعلى الجانب الآخر نرى المجلس العسكري وقد أصبح في مأزق كبير حيث ثبت أن المجلس العسكري ليس لديه الكفاءة السياسية لحكم مصر ولكنه لا يستطيع أن يترك الحكم ويحدث فراغًا سياسيًا في بلد كبير كمصر، كما أنه بدأ يفقد رصيده عند الشعب المصري في بداية الثورة عندما انحاز للثورة ووقف معها، ولكنه الآن يقف في مواجهة جزء من الثورة ويتعامل معه بعنفٍ أشد من النظام السابق، وهو موقف أحسن ما فيه سيء (١١).

وكذلك نرى أن المنافقين وأصحاب المصالح وما أكثرهم على مر العصور قد تلونوا وركبوا الثورة وملأوا الفضائيات ينفثون سمومهم وكل يريد مصلحته هو، والله أعلم بالنوايا، فنسمع عن من يريد إشعال ثورة أخرى تأتي على الأخضر واليابس في كل مصر، ومن يريد أن يشعلها ثورة ضد الجيش ومن يريد أن نعود إلى الميدان مرة أخرى، وللأسف فالشعب قد زادت عليه المعاناة وبدأ يفقد صبره وبدأنا نسمع همسات تحولت إلى صرخات أن كفانا ثورة ولنعود إلى العمل والإنتاج،

وهو نداء قد يكون هو آخر نداءات أهل العقول.

والأسوأ من كل ذلك هو بزوغ نجم الأقليات وظهور شبح التقاتل بين أبناء الشعب فيجانب الأخوة المسيحيين الذي أفرغهم نجاح الإسلاميين وخصوصاً السلفيين وما ينادى به بعض السلفيين من محاربة للفجور والرجوع إلى الشريعة الإسلامية مما أقلق المسيحيين وجعل البعض منهم ينادون بالحماية الدولية لهم كمواطنين مصريين يتعرضون للظلم، ونرى الفتنة وقد أيقظها الخبثاء المتريصون بمصر فتري من يتكلم عن حقوق أهل النوبة وكيفية استعادتها وعودتهم إلى بلادهم التي رحلوا عنها والظلم الذي لاقوه على مر العصور السابقة ، وكذلك نسمع عن من يتكلم عن حقوق بدو سيناء ومناداتهم بالانفصال عن مصر بحجة التمييز في الخدمات بينهم وبين باقى طوائف الشعب المصرى، وأيضاً بدأنا نسمع عن تواجد الشيعة فى مصر وأنهم مضطهدون ويريدون حرمتهم والباقى أدهى وأمر.

إن كل هذه الأحداث المؤسسة التي شاهديناها فى مصر بعد الثورة من تدهور الاقتصاد وانقسام الشعب إلى فئات ومن إسلاميين إلى ليبراليين وغيرهم، ثم ما ذكرناه من انقسامات لتدل على أن الثورة التي وُلدت يتيمة، لأن ثورة الخامس والعشرين من يناير وُلدت من رحم المعاناة للشعب المصرى بكل طوائفه ولأنها كانت نتاج التحرك الشعبى فلم يكن لها قائدٌ تسير وراءه وهى ميزة وعيب، فهى ميزة حيث أنها كانت تمثيلاً لكل الشعب ولكنها عيباً لأن أى ثورة لا بد لها من قائد يوحد الرؤية والهدف، ولأن الثورة بلا قائد فهى أصبحت يتيمة الأمومة حيث لا أم تلجأ إليها الثورة وتحنو عليه، ولكنها وللأسف أصبحت متعددة الأبوة، فالثورة كما يبدو لنا لها ثلاثة آباء وربما أكثر، وكل أب من هؤلاء الثلاثة يدعى أنه الأب الشرعى

للثورة، وهؤلاء الأباء الثلاثة هم التيار الإسلامي ممثلاً في الإخوان والتيار السلفي وحزب الوسط، والأب الثاني وهم تشكيلة من دعاة الدولة المدنية والليبراليين من يساريين وشباب وبعض الجماعات مثل ٦ إبريل وكفاية، والأب الثالث وهو المجلس العسكري الذي يعلن للجميع أنه من ناصر الثورة منذ البداية وقبل تنحي مبارك عن الحكم في الحادى عشر من فبراير ولولاه ما نجحت الثورة.

إننا لا ننكر أن هؤلاء الأباء الثلاثة لهم دورهم في حماية الثورة ولكن لا يجب أن ننسى دور الشعب بكل طوائفه، ذلك الشعب الذى قام بالثورة وحماها من الظلم والاستبداد، وأن الثورة الآن يدعى أبوتها الآن المئات بل الآلاف الذين يقولون أنهم هم أبو الثورة وأمها، وهم أبعد ما يكونون ثواراً!!!.

والحقيقة المؤلمة الوحيدة الآن هي أنه (لم يبق في الميدان ثوارٌ).

كانت صفحات هذا الكتاب تحت الطبع والميدان يعود إليه الثوار في مليونية (للثورة شعب يحميها) وهي المليونية التي قام بها المعارضين للإعلان الدستوري الذي أصدره الرئيس مرسى في نوفمبر ٢٠١٢، والذي استحوذ فيه الرئيس مرسى بكل السلطات، فلزم الإشارة إلى عودة الثوار للميدان).